تذكير الأخيار
بشرح دعاء سيد الاستغفار

تأليف

سالم بن سعد الطويل

اعتنى به

فهد بن سالم الطويل

الطبعة الأولى

١٤٣٩/ ٢٠١٨

تذكير الأخيار
بشرح دعاء سيد الاستغفار

تأليف
سالم بن سعد الطويل

هاتف: ‎+٩٦٥ ٥٠٣٥٠٠٧٧‎ البريد الالكتروني: maktab.etqan@gmail.com

تذكير الأخيار
بشرح دعاء سيد الاستغفار

تأليف

سالم بن سعد الطويل

اعتنى به

فهد بن سالم الطويل

الطبعة الأولى
١٤٣٩/ ٢٠١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله وحْدَهُ والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَن لا نبيَّ بعده وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، أما بعدُ:

فإنَّ الاستغفارَ مِنَ العباداتِ العظيمةِ التي جاء الأمرُ بها في الكتابِ والسُّنَّةِ، وقد وردَتْ فيه صيغٌ متعدِّدة، ومن أجمع صيغ الاستغفار ما ثبت عن النبيِّ ﷺ في قوله: «**سَيِّدُ الاستِغفارِ أنْ تَقُولَ: اللهمَّ أنتَ ربِّي لا إلَهَ إلا أنتَ، خلقتَني وأنا عبدُكَ، وأنا على عهدِكَ ووعْدِكَ ما استَطَعْتُ، أعوذُ بكَ مِنْ شَرِّ ما صنَعْتُ، أبوءُ لكَ بنِعمَتِكَ عليَّ، وأبوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لي، فإنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنتَ، مَنْ قالها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها، فمات مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فهو مِنْ أهلِ الجَنَّةِ، ومَنْ قالها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فماتَ قَبلَ أنْ يُصْبِحَ، فهو مِن أهْلِ الجنَّةِ**»[١].

ولمنزلة هذا الذِّكر، وعظيم فضله أحببتُ توضيحَ ما اشتمل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٣٠٦، ٦٣٢٣).

عليه من معانٍ باختصار، وسمَّيته: «تذكيرُ الأخيارِ بشَرحِ دُعاءِ سيِّد الاستغفار».

والله أسألُ أن ينفعَ بهذا التَّعليق المُختصر، وأن يغفرَ لي ولوالديَّ وللمسلمين.

وكتبه راجي عفو ربِّه الجليل

سالم بن سعد الطويل

١٤/ ربيع الآخر/ ١٤٣٩هـ

١/ ١/ ٢٠١٨م

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله، وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين، أمَّا بعدُ:

فإنَّ الاستغفارَ مِنَ العباداتِ العظيمةِ التي جاء الأمرُ بها في الكتابِ والسُّنَّةِ، قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠-١٢].

وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت:٦]، وهنا معنى لطيف في الأمر بالاستغفار بعد الأمر بالاستقامة، وذلك أنَّ العبدَ مهما اجتهد في الاستقامة لا بُدَّ مِن وقوعه في النَّقص والتَّقصير، فناسب أن يستغفرَ اللهَ تعالى سدًّا لذلك النَّقصِ وجبرًا لذلك القصور.

وكان النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا انصرفَ من صلاته استغفر الله ثلاثًا[1].

وأمر الله تعالى الـحُجَّاج بعد وقوفهم بعرفة وقضاء يوم عظيم في الدُّعاء والتضرُّع والرَّجاء أن يستغفروا الله، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة: ١٩٩].

ولقد قضى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حياته في طاعة الله تعالى على أكمل وجه منذ بعثه اللهُ تعالى، صلاةً وصيامًا وصدقةً وجهادًا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٥٩١).

ودعوةً ونصيحةً وصبرًا واحتسابًا وغير ذلك، فلمَّا قَرُبَ أجلُهُ نعاه اللهُ تعالى، وأمره بالاستغفار كما جاء في سورة النَّصر، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ .

وقال ﷺ: «**طُوبى لمن وَجَدَ في صحيفتِهِ استغفارًا كثيرًا**»(١)، وإنَّ مِن أجمع صيغِ الاستغفار الثَّابتة عن رسولِ الله ﷺ سيِّدُ الاستغفار، فهو حديثٌ مُشتمِلٌ على ذِكر جامعٍ، وَعَدَ النَّبيُّ ﷺ قائِلَهُ بثوابٍ عظيمٍ، فحريٌّ بالمسلم أن يحرصَ على حفظِ هذا الحديثِ وفهمِ معناه.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فالتَّوحيدُ هو جماع الدِّين الذي هو أصلُه وفرعُه ولُبُّه، وهو الخيرُ كلُّه، والاستغفارُ يُزيلُ الشرَّ كلَّه، فيحصلُ من هذين جميعُ الخير وزوالُ جميع الشَّرِّ، وكلُّ ما يُصيبُ المؤمنَ من الشرِّ فإنَّما هو بذنوبه، والاستغفارُ يمحو الذُّنوبَ، فيُزيلُ العذابَ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣]»(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه رقم: (٣٨١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٣٩٣٠).

(٢) جامع المسائل لابن تيمية (١/ ٢٧٤) ط. عالم الفوائد.

نصُّ حديث سيِّد الاستِغفار

عن شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «سَيِّدُ الاستِغفارِ أنْ تقُولَ: اللهمَّ أنتَ ربِّي لا إلَهَ إلا أنتَ، خلقتَني وأنا عبدُكَ، وأنا على عهْدِكَ ووعْدِكَ ما استَطَعْتُ، أعوذُ بكَ مِنْ شَرِّ ما صنَعْتُ، أبوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عليَّ، وأبوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لي، فإنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنتَ، مَنْ قالها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بِها، فماتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فهو مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ، ومَنْ قالها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بِها، فماتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ، فهو مِنْ أهْلِ الجنَّةِ»(١).

هذا الحديثُ معروفٌ عند أهلِ العِلم بحديث سيِّدِ الاستغفار، وقد سمَّى النبيُّ صلى الله عليه وسلم هذا الذِّكرَ سيِّدًا لما اشتمل عليه مِن المعاني العظيمة.

فائدة: لم يُخرِّج البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ في «صحيحه» عن شَدَّادِ بنِ أوسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلا حديثًا واحدًا وهو حديث سيِّد الاستغفار.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم:(٦٣٠٦)، ورقم: (٦٣٢٣).

وشداد بن أوس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُكْنى بأبي يعلى، وبأبي عبدِ الرَّحمنِ الأنصارِيُّ، وهو ابنُ أخ حسَّانِ بنِ ثابِتٍ، شاعِرِ رسولِ الله عليه الصلاة والسلام، مات: سنة ثمانٍ وخمسينَ، وهو ابنُ خمس وسبعِينَ سنةً، وكانتْ له عِبادَةٌ واجتِهادٌ، قال خالدُ ابنُ معدان: لم يَبْقَ بِالشَّامِ أَحَدٌ كان أوثقَ، ولا أفقهَ، ولا أرضى مِنْ عُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ، وشَدَّادِ بنِ أَوْسٍ.

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(٢/ ٤٦٠).

قوله: (**اللهمَّ**)، أي: يا الله، و(يا) حرف نداء، وقد حذف حرف النداء وعُوِّض عنه بالميم في آخر لفظ الجلالة فصارت اللهمَّ، فأنت تنادي اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وهذه الصيغةُ أبلغُ في النِّداء.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا خلاف أنَّ لفظة اللهمَّ معناها: يا الله، ولهذا لا تُستعمل إلَّا في الطَّلب فلا يُقال: اللهمَّ غفور رحيم، بل يُقال: اللهمَّ اغفر لي وارحمني» ا.هـ(١)

قوله: (**أنتَ ربِّي**)، وردت كلمةُ ربي في القرآن بأكثرَ من صيغة منها: (ربُّ) بحذف الياء، قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن:١٧]، ووردت بإثبات ياء المتكلم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [آل عمران:٥١]، فإذا أردتَ أنْ تُضِيفَ الرَّبَّ إلى نفسك تقول: (اللهُ ربِّي)، وإذا أردتَ أن تناديَه وتدعوَه فتقول: ربِّ اغفر لي ولوالديَّ، فقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهمَّ أنتَ ربِّي**»، جملةٌ اشتملت على الإقرار بالربوبيَّة لله عَزَّوَجَلَّ.

ومعنى الربوبيَّة: إفرادُ الله عَزَّوَجَلَّ بأفعاله، أي: أنْ يؤمنَ العبدُ بأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ هو وحْدَهُ الخالقُ المالكُ المدبِّرُ، والربوبيَّةُ اشتقاقٌ من اسم الله الرَّبِّ، واللهُ عَزَّوَجَلَّ اسمه الرَّبُّ، قال تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ:١٥].

---

(١) جِلاء الأفهام في فضل الصلاةِ على محمدٍ خير الأنام [ص١٤٣].

وقال النبيُّ ﷺ: «**أمَّا الرُّكوع فعظِّموا فيه الربَّ**»[(١)]، وقال النبيُّ ﷺ: «**السواك مطهرةٌ للفم مرضاةٌ للربِّ**»[(٢)].

فعندما تقول: (اللهمَّ أنت ربِّي)، هذا إيمانٌ منك وإقرارٌ أنَّ الله هو خالِقُك ومالكُكَ وهو المدبِّـرُ لكل شيء، فهذه الكلمة فيها توسُّلٌ مِنَ العبد إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالإيمان بالربوبيَّةِ.

فالرَّسول ﷺ يعلمنا أنْ نقولَ في الاستغفار: (**اللهمَّ أنتَ ربِّي**)، أي: لا ربَّ لي سواك إذا لم تغفر لي، فمَنْ يغفرُ لي؟!

قوله:(**لا إلهَ إلَّا أنتَ**)، استثناءٌ بعد نفي، والاستثناءُ بعد النَّفي يدلُّ على الحصْر: وهو قَصْرُ الحكم على المذكور ونفْيُهُ عمَّا عداه، **والمعنى**: قَصرُ استحقاقِ العبادةِ على الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّه الإلهُ الحقُّ المعبودُ بحقٍّ وحْدَهُ لا شريك له.

فهذا إقرار بالألوهيَّة: وهي إفرادُ الله عَزَّوَجَلَّ بالعِبادة، فلما ذَكَرَ الربوبيَّة ذَكَرَ بعدها الألوهيَّة فجاء بكلمة التوحيد الكلمة العظيمة: (لا إله إلا الله)، التي قامت عليها السَّمواتُ والأرضُ، والتي مِن أجْلها خَلَقَ اللهُ الدنيا والآخرة، ومِن أجلها تقومُ القيامةُ وتحقُّ الحاقَّةُ، ومِن أجلها خَلَقَ اللهُ الجنَّةَ والنَّارَ، وأُرسِلتِ الرُّسلُ، وأنزلتِ الكُتبُ،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٤٧٩).

(٢) أخرجه أحمد رقم: (٢٤٢٠٣)، وصححه الألباني في الإرواء رقم: (٦٦).

ومِن أجلها شُرِعَ الجهادُ، وحُدَّتِ الحدودُ.

فما أعظمَها مِن كلمة يَتوسَّلُ بها العبدُ إلى الله عَزَّوَجَلَّ قبل أنْ يسأَله المغفرةَ.

ومعنى: (**لا إله إلَّا أنت**)، لا معبودَ بحقٍّ إلَّا أنت، أو لا معبودَ حقٌّ إلَّا أنت، أو لا معبودَ يستحقُّ العبادةَ إلَّا أنت، أو لا معبودَ مستحقٌّ للعبادة إلا أنت، كلُّها عباراتٌ صحيحةٌ تصلح تفسيرًا لكلمة لا إله إلَّا أنت، ومعنى الإله: المعبود، وهذا إقرارٌ بالتَّوحيد لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (**خلقتَني وأنا عبدُكَ**)، فيه بيانُ كيفيةِ توسُّلِ العبد إلى ربِّهِ ليغفرَ له، كما لو أثنيتَ على إنسان قبل أن تطلبَ منه حاجتَك أو تسأَله مسألتَك، فإذا قلتَ لعبدٍ كريم معروفٍ ومشهور بالعطاء كلماتٍ لطيفة قبلَ أن تسألَه فحريٌّ أن يُعطيَك، فكيف بالكريم الأكرم الذي بيده ملكوت كل شيء؟!

والعبوديةُ نوعان: عامَّةٌ وخاصَّةٌ:

النَّوع الأول: العبوديَّة العامَّةُ: وهي الخضوعُ لأمر الله الكونيِّ؛ وتشمَل الخلقَ جميعًا مؤمنَهم وكافرَهم، ودليلها قولُه تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم:٩٣].

النَّوع الثَّاني: العبودية الخاصَّة: وهي الخضوعُ لشرع الله عَزَّوَجَلَّ،

والانقياد لأمره الشَّرعي، وهي خاصَّةٌ بالمؤمنين؛ والدليل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣].

ومعنى: (**خلقتَني وأنا عبدُكَ**)، أي: أنت خالقي، وأنا عبدٌ مِن عبادك لا حولَ لي، ولا قوَّةَ إلا بك، لا أملك شيئًا، فأنت الذي خلقتني، وأنت مالكي، ومُدبِّرُ أمري، وهذا توسُّل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بربوبيته وعبوديته.

قوله: (**وأنا على عهْدِكَ ووعْدِكَ**)، العهد الذي أخذه اللهُ علينا أن نعبدَه ولا نشركَ به شيئًا، كما قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟، قلنا: بلى، هذا العهدُ فَطَرَهُ اللهُ في نفوسنا، وأرسل رُسُلَهُ، وأنزل كتبَه ليؤكِّد هذا العهد، وهو أنَّه عَزَّوَجَلَّ الرَّبُّ الخالقُ المالِكُ المدبِّر، والإله الحقُّ المستحِقُّ للعبادة، فالمسلم هنا في هذا المقام يجدد العهدَ مع الله تعالى.

قوله: (**ما استَطَعْتُ**)، أي: على قدر استطاعتي، و مِن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ أنَّه لا يُكلِّف نفسًا إلا وسعها، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، فالعبد يقول: أنا على عهدك الذي عاهدتك إيَّاه وأخذتَه عليَّ أن أعبدَك وحدك لا شريك لك، وأنتَظِر وعدك يا ربِّ، فأنت لا تخلفُ الميعاد.

وقد ثبت في الصَّحيحين، عن معاذِ بنِ جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بينما أنا رديفُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليس بيني وبينه إلا آخرةُ الرَّحل، فقال: «**يا معاذُ**» قلتُ: لبَّيك يا رسول الله وسعديك، ثُمَّ سار ساعةً، ثُمَّ قال: «**يا معاذُ**» قلتُ: لبَّيك رسول الله وسعديك، ثُمَّ سار ساعةً، ثم قال: «**يا معاذُ بنَ جبلٍ**» قلتُ: لبَّيك رسولَ الله وسعديك، قال: «**هل تدري ما حقُّ الله على عباده؟**» قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: «**حقُّ الله على عباده أن يعبدوه ولا يُشْرِكوا به شيئًا**» ثُمَّ سار ساعةً، ثم قال: «**يا معاذُ بنَ جبلٍ**»، قلتُ: لبَّيك رسولَ الله وسعديك، قال: «**هل تدري ما حقُّ العباد على الله إذا فعلوه؟**»، قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «**حقُّ العباد على الله أن لا يعذِّبهم**»(١).

قوله: «**حقُّ الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»، هذا حقٌّ أوجبه اللهُ علينا، وحقُّ العباد على الله عَزَّ وَجَلَّ حقٌّ أوجبه اللهُ على نفسه، فاللهُ يوجب على نفسه ما يشاء ويحرِّم على نفسه ما يشاء، فحقُّه علينا أن نعبدَه، ووعَدَنا وعدًا؛ أن لا يعذِّبنا إذا عبدناه وحده لا شريك له، والله لا يخلف الميعاد، والعبدُ يجدِّد هذا العهدَ في الصباح والمساء بهذا الدعاء.

فائدةٌ: لا يجوز القسم بحقِّ الله؛ لأنَّ حقَّ الله عبادتُهُ، وعبادتُهُ من أفعال المخلوقين، ولا يجوز القسمُ بالمخلوق.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٥٠٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٣٠).

قوله: (أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صنَعْتُ)، معنى أعوذ: ألتجِئُ وأعتصم بك يا ربِّ لتعيذني ممَّا استعذتُ بكَ منه، والاستعاذة عبادةٌ، وهي: طلب العَوْذ، فأنت تستعيذُ بالله من شرِّ أعمالك التي عملتَها، ومن تقصيرك وأخطائك، فتقول: (أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صنَعْتُ)، أي: أبرَأُ إليك من جميع الذنوب والخطايا التي اقترفتُها، كما كان يقول النبيُّ ﷺ: «**نعوذُ بالله مِن شرور أنفسنا ومِن سيِّئات أعمالِنا**»(١)، فتستعيذ بالله من ذنوبك، ومن أعمالك السيِّئة.

قوله: (أَبوءُ لَكَ بِنِعْمتِكَ علَيَّ)، معنى أبوء: أعترف وأُقرُّ، وهذا توسل بالإقرار بالنِّعم، وهذا الإقرار والاعتراف نستعمله مع البشر، مثال: تقول لمن أحسنَ إليك: (لم تقصِّر معنا جزاك الله خيرًا)، فأنت تقول لله عَزَّوَجَلَّ: نعمُكَ عليَّ عظيمةٌ وأنا مغمورٌ فيها، نعمك عليَّ ظاهرةٌ وباطنةٌ، وفضلُكَ عليَّ عظيمٌ وسترُكَ عليَّ جميل، وعطاؤك كبير، وجاء لفظ النِّعمة مفردًا مضافًا، والقاعدة: أنَّ المفردَ إذا أضيف يفيد العموم(٢)، ومِن أمثلة هذه القاعدة قولُه تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤]، فكلمة

---

(١) جزء من حديث خطبة الحاجة، أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (١١٠٥)، وأصله في مسلم رقم: (٨٦٨).

(٢) ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]، فكلمة (عبده) مفرد مضاف، والمراد: كافٍ عبادَه[ينظر التعليق المختصر للشارح ص٥٣].

(نعمة) جاءت مفردةً مضافة فتشمل جميع النِّعم، ويدلُّ على هذا العموم قوله تعالى: ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ .

وهذه الآية قد وردت في موضعين في كتاب الله:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

الثَّاني: قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:١٨].

ذكر اللهُ تعالى في الآيتين السابقتين أن نعمه لا تُحصى، ثم بيَّن حالَ أكثر الخلق وهو كفرانُ النِّعم، وظلمُ أنفسهم بعدم شكرها، ومع ذلك فإنه سبحانه وتعالى قابلهم بالمغفرة والرَّحمة، ولو جازانا اللهُ تعالى على أعمالنا ما دخل أحدٌ الجنَّةَ، يقول النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**لن يُدخِلَ أحدًا عملُه الجنةَ**»، قالوا: ولا أنت يا رسولَ الله؟ **قال:** «**لا، ولا أنا، إلَّا أن يتغمَّدَني الله بفضل ورحمة**»(١)، فدخولنا الجنَّةَ يكون برحمةٍ من الله وفَضْلٍ، ليس بأعمالنا، فالعمل ليس ثمنًا للجنَّة، وإنَّما جُعِلَ العملُ لتفاضل الدَّرجات في الجنَّة، فنِعم اللهِ علينا كثيرة: السمعُ، والبصرُ، والفؤادُ، والسِّترُ، والصِّحةُ، والعافيةُ، والمالُ، وأشياءُ كثيرةٌ تعمل في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٦٧٣)، ومسلم في صحيحه رقم:(٢٨١٦).

جوف الإنسان في الليل والنهار ولا يشعر بها، فالعبدُ إذا أقرَّ بنعمةِ الله كان هذا مِن أسباب دوام النِّعمة وزيادتِها، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]، فالنِّعمُ تزيد بحمد الله وشكره، وبعضُنا الآنَ لا يشكر اللهَ إلا قليلاً، وكثير من الناسِ اليومَ يتذمَّرُ ولا يشكرُ اللهَ، ويَكْفرُ نعمتَه على الرغم مِن رفاهية الحياة.

قوله: (**وأَبُوءُ بذَنْبي**)، أي: أعترفُ بذنبي وأُقِرُّ به، وهذا توسلٌ بالاعتراف بالذنب، فمَن اعترف بذنبه كان اعترافُهُ مِن أسباب مغفرة الله له، كما يقال: (الاعتراف بالذنب فضيلةٌ)، بينما بعضُ النَّاس لجهله عندما يُقال له: استغفرِ الله أو أكثِر من الاستغفار، فيقول: ماذا فعلتُ حتى تأمرني بالاستغفار؟ هل رأيتَ عليَّ شيئًا؟ فيقال: كلنا مذنبون مقصِّرون، وبحاجة إلى رحمة الله، فالنبيُّ ﷺ الذي هو أكثر الناس طاعةً لله تعالى كان يستغفر اللهَ ثلاثًا إذا انصرف من صلاته[(١)]، بل قال عليه الصلاة والسلام: «**وإنِّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»[(٢)].

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «ما رأيتُ أحدًا أكثر أن يقولَ: أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله ﷺ»[(٣)].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٥٩١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٧٠٢).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى رقم: (١٠٢١٥).

والنبيُّ ﷺ قَضَى عمرَه في طاعة الله من صلاة وقيام وصيام وجهاد وتعليم، لا يحيط بأعماله إلَّا الله عز وجل، فلمَّا اقترب أجله أنزل اللهُ عز وجل سورةً ينعيه بها[1]، أي يقول له: إنَّ أجلَكَ قد اقترب، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾، لم يقل النبيُّ ﷺ: لِمَ أستغفر الله عز وجل فقد هاجرتُ مِن مكةَ إلى المدينة، وبلَّغتُ الرسالةَ، وأديتُ الأمانةَ، وجاهدتُ في سبيل الله، وكُسِرتْ رَباعيتي وشُجَّ رأسي، واتُّهمتْ زوجتي، وآذاني المنافقون، وسمَّمني اليهود، بل كان حالُهُ ﷺ ما ذكرته أم المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها بقولها: «كان النبيُّ عز وجل يُكثرُ أن يقولَ في ركوعِهِ وسجودِهِ: **سبحانك اللهمَّ ربَّنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**، يتأوَّل القرآن»[2]، أي: يتأوَّل قولَ الله عز وجل: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾.

فهنا يعلِّمنا النبيُّ ﷺ أن يقول أحدُنا: (**وأَبُوءُ بذَنْبي**)، أي: ذنوبي، وذلك لأنَّ المفرد إذا أضيف يفيد العموم، هناك ذنوبٌ

---

(١) قال ابنُ عباس: «هو أجَلُ رسولِ الله عليه الصلاة والسلام أعْلَمَهُ له»، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، وذلك علامةُ أجلِكَ... فقال عمرُ رضي الله عنه: «ما أعلمُ منها إلا ما تقولُ». أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٩٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٨١٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٤٨٤).

يعلمُها الإنسانُ، وهناك ذنوبٌ لا يعلمُها، والنبيُّ ﷺ يعلِّمنا كيف نستغفر اللهَ عَزَّوَجَلَّ بأنْ نقول: «**اللهمَّ اغفر لي ما قدمتُ، وما أخرتُ، وما أسررتُ، وما أعلنتُ، وما أنتَ أعلم به منِّي**»(١).

هناك ذنوبٌ قلبيَّةٌ، والقلب مكلَّفٌ بالإخلاص، والخشوع، والحبِّ في الله، والبغض في الله، وغير ذلك من العبادات القلبيَّة، فالمطلوبُ مِن العبد أنْ يعترفَ بذنوبه جملةً وتفصيلاً، ما عَلِمَ منها وما لم يَعلم، فيقول: (**وأبُوءُ بذَنْبي فاغفر لي**)، هذه كلُّها مقدِّماتٌ يتوسَّل بها العبدُ إلى الله عَزَّوَجَلَّ .

قوله: (**فاغْفِرْ لي**)، أي: تجاوز عني، واسترني، وارحمني، واعف عني؛ لأنَّ كلمةَ المغفرة إذا أُفردت تشمل هذه المعاني كلَّها.

والاستغفار: معناه طلبُ المغفرة، وإنَّما قيل: الاستغفارُ طلبُ المغفرة ؛ لأنَّ السين والتاء إذا دخلتا على الكلمة في لغة العرب دلَّتا على الطلب غالبًا، ونظير ذلك الاسترحامُ طلب الرحمة، والاستسقاءُ طلب السُّقيا، والاسترقاءُ طلب الرُّقية.

والمغفرة: سَترُ الذنب والتجاوز عن صاحبه، فإذا قلتَ: (أستغفرُ اللهَ) فإنك قد سألتَ الله عَزَّوَجَلَّ أنْ يستُرَ ذنبك، وأنْ يتجاوزَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١١٢٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٧١٩)، واللفظ له.

عنك، وما منَّا مِن أحدٍ إلا وله ذنوبٌ، ذنوبٌ في السِّر والعلن، بأسماعنا وبأبصارنا وبألسنتنا، كما قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنَّهار**»(١).

والذَّنبُ ليس كما يظن بعض النَّاس أنه مقتصرٌ على ارتكاب الكبائر الظاهرة؛ كالقتل والزِّنا والسَّرقة ونحوها، بل أنواعُ الذنوب وأصنافُها كثيرةٌ جدًّا فلا بُدَّ أنْ تعلم أنَّ الذنبَ إمَّا تقصيرٌ في امتثال المأمور أو وقوعٌ في المحظور.

فإذا عصمك اللهُ ولم تقع في الكبائر فإنك لا تستطيع أنْ تزكِّيَ نفسك وتزعمَ أنك امتثلتَ أوامرَ الله عَزَّوَجَلَّ كلَّها، ولهذا لما طلب أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: «**قل: اللهمَّ إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كبيرًا –وفي رواية: كثيرًا– ولا يغفر الذنوبَ إلا أنت، فاغفرْ لي مغفرةً مِن عندك، وارحمني إنك أنت الغفورُ الرحيم**»(٢)، هذا أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ المبشَّر بالجنَّة، أحبُّ الرجال إلى النبيِّ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وأسبقُهم إلى الإسلام، فكلُّنا بحاجة إلى مغفرة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وستره، فإذا مدحك الناسُ فلا تظنَّ أنهم يمدحون ذاتك، وإنَّما يمدحون سترَ الله الجميل الذي سترك به.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٧٠٥).

ومن أسماء الله ﷻ السِّتِّير(١)، **والسِّتِّير**: هو الذي يسترُ عباده، وكلُّنا بحاجة إلى سِتْرِ الله ومغفرته ورحمته وعفوه، لا أحدَ منَّا يستغني عن ذلك أبدًا، بل إنَّ من أكبر الذنوب أن يرى الإنسانُ أنه ليس بحاجة إلى سِتْرِ الله ومغفرته ورحمته، وما أَكْثَرَ ما نقع في المحظورات ونفرِّط في المأمورات، فإنْ لم يغفر لنا ربُّنا ويرحمنا لنكوننَّ من الخاسرين.

وآدم عليه السلام أبو البشر نبيٌّ مُكَلَّم علمه اللهُ عز وجل الأسماءَ كلَّها، وعصى ربَّه(٢)، فلقنه اللهُ عز وجل كلماتٍ يتوسَّل بها إليه، كما قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾[البقرة:٣٧]، والكلمات التي لقَّنه الله تبارك وتعالى إياها هي ما ذكره الله عز وجل في قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف:٢٣].

قوله: (**فإِنَّهُ لا يغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أنتَ**)، إذا أقرَّ العبدُ بأنَّ له ربًّا يغفر الذُّنوب فهذا توسُّلٌ إلى الله ليغفر له ذنبه، قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام:

---

(١) وقد ثبت هذا الاسم لله تعالى، قال ﷺ: «**إن الله عز وجل حييٌّ ستِّير**»، أخرجه أبو داود رقم: (٤٠١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١٧٥٦).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله: «وقد كان آدمُ أبو البشر عليه السلام من أحلمِ الخلق وأرجحِهم عقلاً وأثبتِهم، ومع هذا فلم يزل به عدوُّ الله حتى أوقعه فيه، فما الظن بفَراشة الحلم ومَن عقله في جنب عقل أبيه كتفلةٍ في بحر؟» [انظر: الوابل الصيب ص٨].

قوله: (**فراشة الحلم**)، تقول العرب: حِلم الفراش لمن أحلامه خفيفةٌ لا قيمة لها كالفراش التي تُلقي نفسها بالنَّار.

فيما يرويه عن ربِّه أنَّه قال: «إنَّ عبدًا أصاب ذنبًا -وربما قال: أذنب ذنبًا- فقال: ربِّ أذنبتُ -وربما قال: أصبتُ- فاغفرْ لي، فقال ربُّه: أَعَلِمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفرُ الذنبَ ويأخذُ به؟ غفرتُ لعبدي، ثُمَّ مكث ما شاء الله ثُمَّ أصاب ذنبًا، أو أذنبَ ذنبًا، فقال: ربِّ أذنبتُ، أو أصبتُ آخَرَ، فاغفره، فقال: أَعَلِمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفرُ الذنبَ ويأخذُ به؟ غفرتُ لعبدي، ثُمَّ مكث ما شاء اللهُ، ثُمَّ أذنب ذنبًا، ورُبَّما قال: أصاب ذنبًا، قال: قال: ربِّ أصبتُ، أو قال: أذنبتُ آخَرَ، فاغفره لي، فقال: أَعَلِمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفر الذنبَ ويأخذُ به؟ غفرتُ لعبدي ثلاثًا، فليعملْ ما شاء»(١).

وقوله عَزَّوَجَلَّ: «فليعمل ما شاء»، قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فليس في هذا إطلاق وإذنٌ منه سبحانه له في المحرَّمات والجرائم، وإنَّما يدلُّ على أنَّه يغفر له ما دام كذلك؛ إذا أذنب تاب»(٢).

هذا العلم والاعتقاد أنَّ للعبد ربًّا يغفر الذُّنوب هو سببُ نيل مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ، فاعترافُك بالذَّنب والإيمانُ بأنَّ اللهَ هو الذي يغفر الذنوب جميعًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣]، فالإيمانُ بذلك من أسباب مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ لك.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٥٠٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٧٥٨).

(٢) الفوائد (ص١٦).

قوله: (**فإنـه لا يغفر الذنوب إلا أنت**)، هذا أسلوب حصر، أي: أنت وحدك الذي تغفر الذنوب، فالمغفرة تُطلب من الله تعالى لا من الرسول ﷺ.

ومن البدع المنتشرة عند بعض النَّاس في مناسك الحجِّ والعمرة قولهم: من آداب زيارة المدينة أن تتقدَّم إلى قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ثُمَّ تقول: (يا رسول الله سامحني)، وهذا شركٌ بالله تعالى؛ لأنَّ مغفرة الذنوب والعفو عنها حقٌّ لله عزَّ وجلَّ يُطلب منه وحده لا شريك له.

وكثيرٌ من النَّاس في بعض البلاد الإسلاميَّة يقولُ: (مدد يا رسول الله)، والله تعالى يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠]، ولم يقل: ادعوا رسولي، بل أَمَرَ بالدعاء ووعد بالإجابة، فلماذا يُدعى غيرُه؟

يقول بعضُ النَّاس: إنَّ طلب المدد من رسول الله ﷺ مِن احترام النبي ﷺ!!

فيُقال لهم: إنَّ احترام النبيِّ ﷺ لا يكون بدعائه مِن دون الله، والمدد إنما يُطلَبُ من الله، كما قال تعالى: ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّـٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ [نوح:١٢]،

قوله: (مَنْ قالها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها، فمات مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فهو مِنْ أهلِ الجَنَّةِ، ومَنْ قالها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فماتَ قَبلَ أنْ يُصْبِحَ، فهو مِن أهْلِ الجنَّةِ)، أي: من قالها مخلصًا من قلبه، مصدِّقًا بثوابها العظيم استحقَّ دخول الجنة.

فينبغي على المسلم أن يتعلَّم سيِّد الاستغفار، عملاً بوصيَّة النبيِّ المختار عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في قوله: «**تعلَّموا سيِّد الاستغفار**»(١).

والخلاصة أن هذا الدعاء العظيم اشتمل على معانٍ، منها:

- الإقرار لله وحده بالإلهيَّة والعبوديَّة.

- الاعترافُ بالربوبيَّة، وأنَّ الله تعالى هو الخالق المالك المدبِّر.

- الإقرارُ بالعهد الذي أخذه اللهُ عَزَّوَجَلَّ علينا.

- الاستعاذةُ من شرِّ ما جناه العبدُ على نفسه من الذُّنوب.

- إضافة النِّعمة إلى المنعِم بها، والتوسُّل بالإقرار بها.

- الإقرارُ والاعتراف بالذَّنب، وطلب المغفرة منه، وأنَّه لا يغفر الذنوب إلا الله.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى رقم: (١٠٢٢٨).

دُعَاءُ سَيِّدِ الاسْتِغْفَارِ

قال النبيُّ ﷺ: «سَيِّدُ الاستِغفارِ أنْ تَقُولَ: اللهمَّ أنتَ ربِّي لا إلَهَ إلا أنتَ، خلقتَني وأنا عبدُكَ، وأنا على عهدِكَ ووعْدِكَ ما استَطَعْتُ، أعوذُ بكَ مِنْ شَرِّ ما صنَعْتُ، أبوءُ لكَ بنِعمَتِكَ عليَّ، وأبوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لي، فإنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنتَ، مَنْ قالها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها، فماتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فهو مِنْ أهلِ الجنَّةِ، ومَنْ قالها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فماتَ قَبلَ أنْ يُصْبِحَ، فهو مِن أهْلِ الجنَّةِ». رواه البخاري

مكتب إتقان
للتحقيق والدراسات العلمية